المحاضرة السادسة:

الممارسات الاحتفاليــة

مقدمة:

يزخر المجتمع الجزائري بالنشاطات و الممارسات الاحتفالية، وهي تمثل جزء من المنظومة القيمية العامة له. إن هذه الممارسات الشعبية ليست اعتباطية وجوفاء بل تمتد في عمق شخصية الفرد وتعبر عن كينونته و وجوده في علاقته بنفسه و بغيره وتخضع لمجموعة من الطقوس العقائدية المعبرة عن الحاجات الفردية و الجماعية يرتبط بعضها بمواسم ومناسبات تشكل إطارا اجتماعيا يشترك فيه جميع الأفراد ويشعرون من خلاله بانتماء بعضهم لبعض ومع مرور الزمن تتشبع هذه الممارسات بما يضاف إليها من ثقافة المرحلة لتكون في النهاية سلوكا أو ممارسات غنية محفوظة تتناقلها الأجيال كطقوس وتتوارثها وتشعر بالمسؤولية تجاهها بضرورة المحافظة عليها و العمل على استمرارها.

1- الاحتفال في اللغة و الاصطلاح:

1-1-الاحتفال اسم وجمعه احتفالات وهي اجتماع على فرح ومسرة.[1]

وقد يكون من البداهة القول بأن لكل مجتمع احتفالاته الخاصة، كما له طقوسه الاحتفالية التي تميزه عن غيره. ولهذا فإن طرق الاحتفال بالمناسبات والأعياد من أهم الثقافات الشعبية التي تزخر بها منطقة شمال إفريقيا، فكانت موضع اهتمام الرحالة والمؤرخين لامتزاجها بثقافات وحضارات أجنبية من جهة ولغرابتها في بعض الأحيان من جهة أخرى[2].

إن الاحتفالات مناسبات يجتمع فيها أفراد المجتمع على سلوك مشترك اعتادوه يتزينوا لأجلها ويبتهجوا بقدومها يستشعرون المرح ويجددون انتماءهم لهوية وتاريخ مشترك وأواصر قربى واحدة. إنها جزء من منظومة القيم الاجتماعية العامة ذات الدلالة القوية على الأصالة وتفرد الهوية وكذلك التلون الذي يمتزج بها الذي يعبر عن ثرائها

---

[1] -www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/احتفال/

[2]- عبد الكريم بركة: طقوس الاحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال إفريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 19، ص 92.

وتنوع التمثيل الاجتماعي لها. فالمناسبة واحدة لكن طرق الاحتفال بها مختلفة كما أن الأدوات المستعملة حينها كثيرة.

1-2-ما هو الاحتفال؟

الاحتفال ظاهرة اجتماعية موجودة في كل الثقافات أو المجتمعات البشرية تتميز بنشاطات حيوية وبكثافة درامية ومظاهر جمالية ودلالات رمزية ذات جذور تاريخية. لقد جاء معنى الاحتفال في العلوم الاجتماعية من اللغة الشائعة وهو ينسحب على أحداث مختلفة حد التناقض كالمقدسة والمدنسة والخاصة والعامة وتلك التي تأخذ بالتقاليد والأخرى التي تقدم للابتكارات التي تحيي الماضي أو تحافظ عليه.

ترجع كلمة احتفال Festival إلى الأصل اللاتيني الذي يتفرع بدوره إلى كلمتين هما Festum وتستخدم للدلالة على المسرات والمهرجانات الشعبية وحفلات العربدة، و Feria وتعني الامتناع عن العمل تكريما للآلهة، وقد استخدمت الكلمتين في صورة الجمع، وحيث أن الاحتفالات تستمر أياما وتحمل الكثير من الوقائع ترادفت الكلمتان، واندمج هاذين النوعين من الاحتفال.

وقد اشتقت اللغة الإيطالية كلمة Festa من الكلمة اللاتينية Festa واللغة الفرنسية Fête والإسبانية Fiesta.

ولكلمة احتفال festival في الإنجليزية معاني متعددة، فهي وقت مخصص لاحتفال مقدس أو مدنس يوسم بعادات خاصة، كما أنها الاحتفال السنوي بشخص أو بحدث أو حصاد منتج مهم، أو أنها حدث ثقافي عبارة عن مجموعة من عروض الفنون الجميلة لفنان أو نوع من الفنون، أو أنها ذلك المرح والابتهاج أو المسرّة العامة.

وتمكن أعمال الباحثين في علم الاجتماع والأنثربولوجيا والأديان المقارنة وعلم النفس الاجتماعي والفولكلور من القول أن "الاحتفال يعني عادة مناسبة اجتماعية متكررة دوريا، يشارك فيها كل أعضاء المجتمع، عبر أشكال متعددة وسلسلة من الأحداث المنسقة، بشكل مباشر أو غير مباشر وبدرجات متفاوتة، حيث تجمعهم روابط إثنية ولغوية ودينية وتاريخية ويشتركون في رؤيتهم للعالم". إن للاحتفال وظيفة اجتماعية ومعنى رمزيا يرتبطان بسلسلة القيم الاجتماعية التي تعد أساسية في إيديولوجيته ونظرته للعالم نظرا لهويتها الاجتماعية واستمراريتها التاريخية وهو

ما يتم الاحتفاء به في الاحتفال[3]. إن الإنسان المتدين برى أن كل بناء هو خلق للعالم ولابد له من تجديد يُجسَدُ عن طريق الحفل بالرجوع إلى زمن الخلق الأول الذي هو الأصل زمن البناء. فإعادة كساء الكعبة يكون يوم وقفة عرفة من كل سنة وهو عمل تحييني ليوم بنائها، وأما بالنسبة للزيارة فيعاد تجديد الضريح وكأنها إعادة بناء له لأنه يتم في ذكرى بنائه المرتبطة بوفاة صاحبه[4].

2- أنواع الاحتفال:

إن التمييز بين أنواع الاحتفال عند مختلف الباحثين قائم على ثنائية المقدس/المدنس، وهو تمييز ذو طابع نظري أكثر منه عملي ناقشه دوركايم لأن كل نوع يتضمن عناصر النوع الآخر، ذلك أن الاحتفالات الدينية مثلا لها مضامين دنيوية، كما أن الاحتفالات الدنيوية تلجأ إلى الجوانب الروحية لإضفاء الجلال على الأفراد والأحداث.

كما أن هناك من يميز بين أنواع الاحتفالات على ثنائية الأقدم والأحدث. فالأقدم منها مرتبط بالزراعة وبطقوس الخصوبة والنماء وأساطير نشأة الكون. أما الأحدث منها فمرتبط بالحضر والرخاء وقد يرتبط بالأساطير والأحداث التاريخية والبطولية.

وهناك من يقيم التمييز بين الأنواع الاحتفالية على أساس السلطة والبنية الطبقية والأدوار الاجتماعية التي تميز بين احتفالات تقدم من الناس إلى الناس، ومن المؤسسة إلى الناس، ومن الناس ضد المؤسسة [5].

3- النقاط الأساسية في السلوك الاحتفالي:

في كل احتفال جملة من الكيفيات السلوكية المرتبطة بكيفيات الحياة اليومية، إذ أن الناس المحتفلونيفعلون أثناء الاحتفال ما لا يفعلونه في غيره وقد يمتنعون عن أشياء يقومون بها عادة، وقد يفرطوا في سلوك كان معتدلا أو يعتدلون حيث كانوا يفرطون. إن للسلوك الاحتفالي أربع نقاط أساسية؛ هي:

- التكثيف.

---

[3]- أليساندرو فالسي: الاحتفال مفهومه وتشكله، ترجمة ثروت مرسي، مجلة الفنون الشعبية، العدد 10، سنة 2015، ص-ص 205-207.
http://alfunun-alshaabia.esft.info/ar/pdf?id=76

[4]- ثياقة الصديق: المقدس والقبيلة، الممارسة الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2014/2013، ص 60.

[5]- المرجع السابق، ص 206

- الانعكاس.
- التجاوز.
- التطهر.[6]

- **الطقس (الافتتاحي) للاحتفال:** هناك عدد من الأحداث يتبع الطقس الافتتاحي وهي ترجع إلى طقوس عامة مثل طقوس التطهير بوسائل مثل النار أو الماء أو الهواء وتدور حول طرد مهيب لشيء ككبش فداء يحمل الشر والسوء بعيدا عن المجتمع، أما بعض الطقوس (التكميلية) الأخرى فتهدف إلى إبقاء الشر بعيدا باعتباره تهديدا خارجيا، أما طقوس الحماية فهي أشكال من الممارسة تحمل البركة وتمنحها كما تتضمن مواكب الأغراض المقدسة حول نقاط جليلة ضمن الإطار المكاني للاحتفال لتجديد الدفاعات السحرية للجماعة ضد العدو الطبيعي أو الخارجي للطبيعة.

- **طقوس العبور:** وقد اشتهر بدراستها "فان جنب van gennep": هي وسم للتحول من مرحلة حياة إلى مرحلة أخرى كطقوس الدخول في مجموعات عمرية أو مجموعات مهنية أو دينية وغيرها.

- **طقوس الانعكاس:** وتمثل تحولية الناس والثقافة والحياة نفسها، فتتحول قواعد الجنس بواسطة التنكر فالرجال يلبسون زي النساء والعكس، وكذلك القواعد الاجتماعية فالسادة يخدمون الخدم، كما تستخدم الفضاءات المقدسة والمدنسة بصورة عكسية.

- **طقوس العرض الصريح للعناصر الرمزية ذات الأهمية في المجتمع:** حيث تسمح لها بالظهور والتواصل المباشر كالممسوسين والواهين والمقدسين الذين لا يتحفظون في اتصالهم اللفظي، كذلك تظهر الأضرحة المقدسة والرفات والأشياء السحرية وتصبح مقصدا للزيارة. وأثناء المواكب المقدسة والعروض العسكرية تتحرك العناصر الرمزية والأيقونات في فضاء مزين بزينة احتفالية مؤقتة كالأكاليل وتشكيلات الورود والستائر واللافتات والإضاءة والأعلام وحينها يظهر الحكام مع العناصر البارزة في المجتمع على أساس أنهم حماتهم يحافظون عليهم وهو مستودع الدين والدنيا والسلطة والقوة.

---

[6]- المرجع السابق، ص 207.

- **طقوس الاستهلاك الصريح**: وتتضمن الطعام والشراب حيث يحضر بكميات كبيرة ويستهلك بطريقة رسمية في أشكال احتفالية متنوعة أو ولائم أو حفلات الشراب symposia (معناها: نشرب معا في نهاية وليمة)، حيث تعد الوجبات التقليدية وطعام البركة من أكثر المظاهر النمطية والمألوفة للاحتفال، حيث أنها وسيلة صريحة جدا لتمثيل المتعة القصوى والخصوبة والرخاء والرفاء إن هذا الطعام هو وسيلة للتواصل مع الآلهة والأسلاف. [7]

4- أسباب الممارسة الاحتفالية:

4-1-أسباب حضارية وتاريخية:

هناك من الباحثين من يرجع الاحتفالات ذات الطابع الديني إلى سقوط الأندلس سنة 1492م تلك الصدمة الحزينة التي تعتبر فاصلة في تاريخ العرب والمسلمين، بعد ثلاثة قرون من الصراع بين المسلمين والمسيحيين، ترتب عليها تشرذم المسلمين وتقطع أوصالهم وتعقبهم من طرف المسيحيين الذين كالوهم أشد أنواع التعذيب. وكان لذلك آثار نفسية واجتماعية وثقافية شديدة التأثير على الجماعات المسلمة المهجرَة، التي حاولت عن طريق الاحتفالات بالرقص والتجمعات الموسمية أن تخفف من وطأة آلامها وأحزانها وتواسي فيها نفسها ولو مرة في السنة، فالمناسبة التاريخية حزينة جدا تتحول إلى فرح عندما يلمون شملهم مرة أخرى، فالعيد لا يعبر دائما عن الفرح بل هو تذكر مأساة، والمأتم قد يتحول إلى فرح كما فسر ذلك روني جيرار و سيغموند فرويد [8].

4-2-أسباب تاريخية:

إن احتفالات المسلمين في العصور الأولى من الإسلام اقتصرت على عيدين فقط (الفطر والأضحى) حسب المؤرخين والدارسين للتراث الإسلامي، غير أن توافد أقوام أخرى إلى هذا الدين أضاف بعضا من ثقافتهم وممارساتهم الدينية واحتفالاتهم وكيفوها مع الدين الجديد حتى وهي تتعارض مع الإسلام.

يقسم عماد ابن الحاج الأعياد في كتابه "الشرع الشريف" إلى:

---

[7]- المرجع السابق، ص 208.

[8]- المرجع السابق، ص،ص 201، 202.

- مواسم شرعية وهي ثلاثة مواسم العيدان وعاشوراء.

- المواسم التي تنسب إلى الشرع وليست منه وهي أول ليلة من رجب وليلة النصف وليلة السابع والعشرين منه وهي ليلة المعراج، وليلة النصف من شعبان.

- المواسم التي تشبهوا فيها بالنصارى وهي ليلة الميلاد ويوم النيروز* وخميس العدس** وسبت النور وموسم الغطاس وعيد الزيتونة.

هذه الأعياد عرفت انتشارا منذ بداية القرن 14 هـ وترسخت في الفترة الفاطمية بمصر (5-6 هـ) وقد تميز الإسلام الشيعي في بلاد المغرب والفرس بعمق الاحتفال وغنى الطقوس، وقد أدخل الشيعة حسب الباحث الأنثربولوجي فاروق أحمد مصطفى أشياء غريبة من ثقافتهم الفارسية ثم قاموا بترسيمها عند تمكنهم من السلطة كالاحتفالات أيضا بموالد الأولياء القديسين المسيحيين التي بدأت في مصر ق (5-6 هـ)، كالاحتفال برأس السنة الميلادية وفاتح شعبان ورمضان ويوم النيروز وخميس العهد وعاشوراء الذي يصادف يوم مقتل الحسين عليه السلام. وقد روجت الدولة الفاطمية لهذه الاحتفالات لنشر المذهب الشيعي [9].

4-3-أسباب نفسية:

يفسر بعض الباحثين في الثقافة الشعبية أن الإيمان بالغيبيات منها قد يرجع إلى الأمية والتهميش والفقر بسبب إهمال الدولة حيث تلجأ الجماهير إلى هذه المهرجانات لتصنع عالمها الخاص وتثري ثقافتها بهذه المهرجانات وتبتعد بذلك عن واقعها لتصاب بحالة اغتراب.

ويرى الباحث المغربي المصطفى فرحات بأن عدم القدرة على التفاعل الإيجابي مع الواقع دفع الناس إلى تقديس الأضرحة والقيام بالزيارات وبتلك الاحتفاليات يحققون توازنهم النفسي وتوافقهم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

4-4-أسباب سوسيودينية:

---

*- عيد النيروز ويعني النوروز "يوم جديد" بالفارسية: مهرجان احتفالي بقدوم فصل الربيع وبداية السنة حسب التقويم الشمسي لإيران وأفغانستان (21آذار) يعود إلى التقاليد الزرادشتية في عهد سايروس الكبير ق 6 ق.م ويحتفل به بتنظيف المنزل وإصلاح كل ما فيه وتزيينه (في ليلة الأربعاء الأخيرة) وتشعل النيران للتخلص من الحظ السيئ، إعداد 7 أطباق (براعم القمح)

**- خميس العدس: في مساء عيد الفصح جلس المسيح مع 12 من حواريه احتفالا باليوم، وبينما هم يأكلون قال المسيح بأن واحدا منهم سيسلم وويل له خير له أنه لم يولد، وكان يهودا الأسخريوطي هو التلميذ الذي خان المسيح وسلم لليهود مقابل 30 قطعة فضة.

[9]- المرجع السابق، ص-ص 204-206.

ومثال ذلك هجرة الزنوج الأفارقة وحملهم لثقافتهم وذلك يبدو بارزا في منطقة "توات" من خلال رقصاتهم وآلاتهم الموسيقية وبعض معتقداتهم الوثنية، وقد امتزج ذلك بالكثير من المعتقدات المحلية، ولإعطاء شرعية دينية لأعمالهم الطقسية تنتسب (كناوة) إلى الصحابي بلال ﷺ الذي كان زنجيا مثلهم. ويقول الأنثربولوجي الفرنسي إيميل ديرمنغهام بأن وضعية الزنوج القاسية في إفريقيا الشمالية دفعتهم لإقامة احتفالات خاصة بهم بصورة متكيفة مع الإسلام وهذه الاحتفالات حافظت على انتمائهم العرقي والتعاضد بينهم وتقوية روابطهم الاجتماعية وتنشيط ذاكرتهم الاجتماعية، كما أن بعض المصلحين الدينيين الذي يهاجرون من أماكن متفرقة ترفعهم الفئات الشعبية إلى درجة الأولياء وتنسج حولهم الأساطير والخرافات، وتبنى لهم الأضرحة بعد مماتهم لتصبح مزارات للتبرك وإقامة مواسم احتفالية.[10]

5- نماذج احتفالية في الجزائر:

5-1- الاحتفالات الشعبية:

أ. **الزواج:** إذا كان الزواج ظاهرة اجتماعية عامة في كل المجتمعات البشرية فإن أشكاله وعادات الاحتفال به تختلف من مجتمع لآخر بسبب الثقافة والقيم التي يؤسس عليها السلوك الاجتماعي. ويعتبر الزواج التقليدي في الجزائر احتفالا له طابعه الخاص بعاداته وأعرافه المتنوعة من منطقة لأخرى، وترسباته التي تمتد في أعماق تاريخ كل منطقة. إنه انتقال من مرحلة عمرية لأخرى (من المراهقة إلى الرجولة) وانتقال من أدوار لأخرى (من عازب إلى زوج إلى أب) وهو احتفال يكون جزءا من النسق الاجتماعي كما عبر على ذلك arnold van gennep ففي تلمسان تطبع حفلة زفة العروس عادات خاصة تبدأ من خروجها من بيت والديها وهي تبكي ومرافقة بعض أقاربها من غير والدها وفض بكارتها وما يرتبط به من خوف أهلها وكذلك تزيينها بطريقة خاصة والبهجة المرافقة لكل ذلك بالغناء والرقص [11]. وبمنطقة القصر العتيق بورقلة مراسيم احتفالية لزفاف العروس مختلفة تبدأ بالخطبة التي قد تبدأ بولادة الصبية وقد تكون أثناء عرس عند أداء الشابات رقصة "التكوكا" وهن مزينات أمام شباب يحضرون للفرحة واختيار زوجة منهن تحددها أمه بإشارة منديل أحمر ليتم التواصل فيما بعد. وتعبر حفلات الزواج في هذا المجتمع عن التكافل الاجتماعي والفرح

---

[10]- المرجع السابق، ص-ص 211- 217.

[11]- نعيم رحماني، نصيرة بكوش: دراسة سيسيوأنثربولوجية لعادات وطقوس الزواج بتلمسان، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 36، 2017، مملكة البحرين، ص89.

الجماعي والابتهاج تبدأ بأيام العرس السبعة وفي كل يوم احتفاء خاص له دلالته الرمزية، ثم أيام دار الحجبة التي تبدأ بذهاب العروس إلى الدار الجديدة (الحجبة) لا يخرج منها العروسان إلا في اليوم السابع، خلال تلك الأيام يقدم للحاضرين طعاما خاصا وللعروسين مشروبا خاصا (مقوي جنسي) وفي اليوم الأخير (السابع) يسمى "إيفاغ" تذهب العروس إلى دار زوجها وتسكن مع أهله، أما العريس فله تقاليده الاحتفالية التي تبدأ بليلة "الكب" يقبل فيها رأس كل كبير، وفي صباح اليوم الموالي يقصد العريس رفقة أصدقائه واحات النخيل للترفيه والتسلية وإفساح المجال للعروس والأهل للابتهاج في المنزل ويسمى هذا اليوم "إكرام" وهو يوم التخفي الذي يدوم إلى غروب الشمس حيث يكلف أحد الأشخاص بقطع نخلة وتقديم لُبها للعريس مع التمني له حياة سعيدة وذرية صالحة[12].

الدلالات الاتصالية لاحتفالات الزواج:

لا ريب أن احتفالات الزواج في الجزائر متنوعة تنوعا شديدا وتبعا لذلك تنوعت دلالاتها الاتصالية. فهي بشكل عام مناسبة تعمل على استمرار التواصل بين أفراد العائلة أنفسهم وبينهم وبين الجماعة أو العشيرة. فإذا كان الزواج بين الأقارب فهو للحفاظ على القيم المشتركة للعائلات كما يحافظ على مستواها الاجتماعي، فهو يسمح أيضا بالحفاظ على أملاكها وموروثها المادي والروحي وفق قواعد محددة، وإذا كان الزواج خارجي فالرغبة هنا هي تدعيم المكانة الاجتماعية والاقتصادية وزيادة نسلها.

و يمثل بكاء العروس ليلة زفافها في تلمسان (وفي مناطق أخرى من الجزائر) يمثل دلالة اتصالية ترمز لقوة العلاقة الوالدية المبنية على المحبة والعطف كما ترمز إلى الحياء، وهناك من يرى بأنها ترمز إلى الإخصاب وهطول الأمطار. أما زينة العروس يوم زفافها بالمساحيق التي أحضرها زوجها والتي تقوم بها قريباتها فمرتبط بالاعتقاد بأنها لا تتزين إلا في بيتها لزوجها كما يحث على ذلك الإسلام، ومن جهة أخرى تعبير عن شوق وحب مشحون بمضمون جنسي بين الزوجين عن طريق العناية بالجسد. أما صورة التزيين المتمثلة في رسم أحمر دائري على وجنتيها (وسبع نقاط بيضاء فوقه) فتدل على الحشمة والخجل ورمز للدم ومن ثمة سلامة غشاء بكارتها الذي هو ضمان حسن أخلاقها، أما النقاط السبعة البيضاء فوق الرسم فتدل على النقاء والصفاء والطهارة، ووجود اللونين فيه دلالة على السعادة والهناء أو العزة والكرامة.

---

[12]- مصباح الهلي: المعتقدات الشعبية حول الزواج، الحمل، الولادة بمنطقة القصر العتيق بورقلة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 8، 2012، ص-ص 388- 342.

و في بعض مناطق جيجل يحتفل أهل العريس باليوم الثاني أو باليوم الثالث بعد حفل الزواج بمشاركة أهل العروس الذين يقدمون منزل العريس ويقيمون وليمة صغيرة استكمالا للابتهاج الذي بدأ صباحا فور التأكد من شرف العروس كان مصانا إلى حين فض غشاء بكارتها صباح هذا اليوم، فتنطلق الزغاريد من اللحظة التي يغادر فيها العريس غرفته خفية، ويشرع في الغناء والرقص تحت طلقات البارود، وعلى قطعة قماش بيضاء قطرات دم غشاء البكارة رمز العفة والطهارة، تعلق أمام الجميع ويرقص البعض فرحا وابتهاجا، وفي منتصف النهار يقدم الغداء في انتظار وقت العصر بعد الصلاة عندما تخرج العروس إلى العين "مورد الماء" رمز الحياة وهي تحمل فوق رأسها صحنا مليئا بالحلوى والمكسرات رمز البركة والخير وتوزعه على الأطفال وكل الحاضرين، يكلف حينها أحد الأطفال برشها بالماء وقد ترد عليه بالمثل في جو من السعادة والمرح وينتهي الاحتفال لتبدأ العروس حياتها الطبيعية في بيتها الجديد.

ب. الاحتفال بعيد السبيبة: وهو احتفال تقليدي تراثي يجرى مطلع شهر محرم على مدى عشرة أيام من كل سنة يعيشه طوارق الصحراء في مدينة جانت ويمارس طقوسه سكان قصرين عتيقين هما "أزلوار" و "الميهان". وفي هذا الاحتفال يتنافس الراقصون من رجال ونساء على الحق في إعلاء راية الجماعة التي يمثلونها في إطار مسابقة مدتها تسعة أيام تسمى "تيمولاوين"، ويشارك الفائزون في طقوس ومراسم اليوم العاشر (من محرم) الذي يختتم فيه الاحتفال. يتوجه الراقصون من الرجال وهم يرتدون أزياء المحاربين والنساء المغنيات إلى ساحة "لوغيا"، وهناك يستعرض الراقصون الذكور أنفسهم عند وصولهم إلى الساحة ويعرضون أسلحتهم ثم يقفون مشكلين دائرة ويقرقعون بسيوفهم بشكل متواصل وتغني النساء الأغاني التقليدية على إيقاع الدفوف وفي نهاية اليوم يتفرق المشاركين، وتنقل المعارف المتعلقة بطقوس الاحتفال من كبار السن إلى الشباب التي تمثل سمة هامة تميز الهوية الثقافية للطوارق و وحدة قبائلهم وتلاحمهم أمام الأخطار والتعاون على الخير والبر، وتبعد بدلالاتها الرمزية شبح النزاعات والحروب بينها من خلال محاكاة هذه النزاعات وجعلها منافسة فنية والاحتفال به. إن السبيبة هو تراث تقليدي تحييه هذه القبائل منذ ثلاثة آلاف سنة ويعود إلى قرون مضت عندما تعاقدت قبائل الطوارق المختلفة من منطقة طاسيلي ناجر في واحة جانت على الصلح والسلام. هذا

الاحتفال سجل سنة 2014 على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية في منظمة اليونسكو.[13]

5-2- المهرجانات:

أ. **مهرجان الجمل:** يحظى الجمل في الصحراء الجزائرية بمكانة خاصة نظرا للدور الذي يؤديه في خدمة الساكنة وبما يتفرد به من الخصائص، ولذلك تقام له تظاهرة تقليدية تجري فعالياتها في تيمياوين الحدودية على بعد 95 كلم جنوب ولاية أدرار.

تنظم التظاهرة كل عام في شهر ديسمبر وتهدف إلى التعريف بالثروة الحيوانية والتأكيد على ضرورة دعم النشاط الرعوي بالمنطقة التي تعد الممون الرئيسي للمناطق المحيطة بها باللحوم الحمراء. يفتتح هذا الحفل برقصات محلية مصحوبة بإيقاع "التيندي" و "خميسة" وسط حضور مميز لسكان المنطقة وسكان المناطق المجاورة لها[14].تدوم فعالية هذا المهرجان 3 أيام تطبعها استعراضات وأهازيج فلكلورية متنوعة ومنافسات رياضية لسباق المهاري.

ب. مهرجان الأهليل: وهو مهرجان اشتهرت به منطقة تيميمون وتسمى "تيقورارين" منذ القدم وتراث الأهليل كان يسمى "أزلوان" ثم أصبح يسمى "أهليل" وهو نوع من الغناء الأمازيغي باللهجة الزناتية احتفظت به هذه المنطقة على شكل أدعية وتوسلات وقصائد للغزل اعتبرها البعض ضربا من التصوف. تشارك في هذا المهرجان فرق البارود الفلكلورية والحضرة والقرقابو[15]. غالبا ما يؤدى "الأهليل" في الحفلات الدينية والحج وحفلات الزفاف والمناسبات الاجتماعية. ويؤدى هذا اللاحتفال الشعبي بآلات موسيقية (التامجةوالبنقري) وغناء ورقص في مجموعة قد يبلغ عدد أفرادها المئة يقفون كتفا لكتف في حلقة تحيط بالمغني يدورون حوله ببطء وهم يصفقون بأيديهم. وينقسم أداء "الأهليل" المتكون من مجموعة من الأناشيد التي

---

[13]- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، الطقوس والاحتفالات الخاصة بعيد السبيبة في واحة جانت بالجزائر، https://ich.unesco.org/ar/RT/-00665

[14]- مديرية الثقافة لولاية أدرار، مصلحة التراث الثقافي: الاحتفالات الدينية والشعبية، ص 5. https://cartes.patrimoineactuelalgerien.org/ar/document/

[15]- المرجع السابق، ص 6.

يقرر أداءها العازف أو المغني على نمط قديم إلى قسمين يسمى الأول "المسرّح" وهو عبارة عن أناشيد قصيرة تغنى إلى وقت متأخر من الليل، ويسمى الثاني "أوقروت" ويؤديه مغنون مخضرمون حتى بزوغ الفجر[16].

ج. **مهرجان فرسان أمدوكال:** وهو مهرجان سنوي يقام مع نهاية الأسبوع الأول من شهر ماي تشهد فيه بساتين وقصور منطقة "أمدوكال" استعراضات الفرسان بالزي التقليدي، ومسابقات للشعر الملحون على طول 3 أيام.(هذه الأشكال أمثلة فقط)

الدلالة الاتصالية للمهرجانات:

تعتبر هذه المهرجانات مناسبات احتفالات ذات دلالة اتصالية رمزية خاصة جدا بهذه المنطقة التي تكثر فيها الواحات كما تكثر بها الأصول الإثنية منها الأصل الأمازيغي والعربي السوداني والإفريقي التي استوطنت منطقة توات واشتركت في تاريخ واحد. فمهرجان الجمل يعبر عن طريقة عيش هؤلاء السكان ومكانة الجمل في تمثلاتهم الاجتماعية بوصفه عنصرا هاما وأساسيا في حياتهم. كما أن الأهليل الذي هو شعار سكان قرية "زينيت" فيعبر أيضا عن نمط عيشهم في الواحات ونمط زراعتها أيضا، كما يرمز إلى التماسك الاجتماعي في ظل بيئة قاسية، وينقل أيضا قيمهم ولغتهم المهددة بالزوال.

5-3- الاحتفالات الدينية:

يزخر المجتمع الجزائري بالاحتفالات الدينية التي تم توارثها جيلا عن جيل ومن منطقة لأخرى بتقاليد وعادات ضاربة في القدم موروثة عن طريق الاتصال الشفهي، ومن أهم وأبرز الأعياد عيد الفطر وهو العيد الصغير، وعيد الأضحى وهو العيد الكبير وكذلك عاشوراء.

لقد ارتبط عيد الأضحى مثلا بعادات وتقاليد متوارثة تبدأ بالتحضير له أياما قبل يوم النحر، أما في هذا اليوم فله خصوصياته الروحية والاجتماعية التي تميزه علن سائر الأيام من اهتمام باللباس الجديد لاسيما لباس الأطفال وكذلك الاهتمام بنظافة البيوت وأما الأضحية فلها شعائرها الخاصة باعتبارها إحياء لسنة الخليل إبراهيم عليه السلام. وهي رمز يتكرر كل عام. "إن الأضحية تعبر عن ثبات المجتمع والتمسك بالهوية المحلية

[16]- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، التراث الثقافي غير المادي، أهاليل القورارة الجزائر. https://ich.unesco.org/ar/RT/-00121

أو الدينية، كما أنها تعطي قيمة مهمة من خلال التلاحم والتضامن الاجتماعي كصفة للجماعة عن طريق الشعور الجمعي"[17]

كما أن للاحتفال بعاشوراء طابعه الخاص خصوصا بأقاليم توات وقورارة التي تكاد تأخذ طابعا رسميا. وأثناء هذا الاحتفال تحضر أطباق خاصة وتحيات خاصة أيضا كالتسابق في قول "بيانوفيك" ويرد الآخر "الساقية ترويك"، وإذا لم يقلها سيسكب عليه الشخص الأول الماء. ومعنى القول "أنت من تقدم لي الفول أو الحمص المطبوخ أولا"...وفي هذا اليوم يطوف الصغار ببيوت البلدة وأحياءها لجمع البقوليات، وفي اليوم العاشر من محرم يكون يوم الصيام الاحتفال بالزيارة وهي مناسبة سنوية في قصور المنطقة كقصر تمنطيط وزاوية كنتة المشهورة بـ"إيشو" وقصريها الاثنين، وتتم قراءة القرآن جماعيا وكذلك المتون الفقهية والمديح الديني مع تقديم محاضرات حول عاشوراء والأعمال المستحبة والدعاء بحلول السكينة والسلام، كما تقام حفلات فولكلورية برقصات خاصة مع طلقات البارود، وتستمر الاحتفالات حتى يؤذن لصلاة الفجر [18]

وفي هذا اليوم تتنوع عادات الجزائريين أيضا، ففي الشرق يسمى "عادة النفقة" وقد ارتبط اليوم بفريضة الزكاة، وللاحتفال بذلك يتم شراء "القشقشة" وإعداد مختلف أنواع المأكولات ويسمى "عشاء النفقة" وتوزع الأطباق بين الجيران من قبيل تبادل الهدايا لتؤلف فيما بينهم وتنزل على قلوبهم الرحمة وتدخل الفرح والسرور عليهم.

وفي منطقة القبائل يرتبط هذا اليوم "بالوزيعة" وتسمى "ثيمشرط" التي فيها تذبح الذبائح ليتم توزيع لحومها على الفقراء في أكياس دون الكشف عن هويتهم، وهناك من الأغنياء من يقوم بتوزيع الزكاة على الفقراء دون علم أحد ويتكفل بها أئمة المساجد، وتسمى "العشور".

وكل هذا يعتبر مناسبة عظيمة تزيد من التآزر والتضامن وتجمع بين الأفراد في جو بهيج جدا[19]، إنها مناسبة للتضامن مرتبطة بالأرض وبالماء يتقربون بها إلى الله.

---

[17]- بتول قاسمي، طيبي غماري: الثقافة كعرش للطقوس، دراسة طقس الأضحية بمدينة معسكر في الجزائر أنموذجا، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 25، 2018، ص 75.

[18]- مديرية الثقافة لولاية أدرار، مصلحة التراث الثقافي، مرجع سابق، ص-ص 40- 43.

[19]- فتيحة زماموش: "النفقة" و "الوزيعة" و "العشور" عادات الجزائريين في يوم عاشوراء www.alaraby.uk/society/2019/9/10

أما المولد النبوي فله طابع احتفالي متميز لاسيما في الجنوب حيث يبدأ الاحتفال مع بداية شهر المولد إلى نهايته، وتقوم المدارس الدينية بتلاوة القرآن من بعد صلاة المغرب إلى العشاء مع إلقاء الدروس المحمدية، وفي ليلة المولد يحتفل بالإطعام وفي اليوم السابع تقام سبعون احتفالية تعرف محليا بالسبوع.

تلبس النسوة والأطفال لباسا جديدا مع وضع الحنة وتبادل الزيارات، وتقرأ فيه البردة والهمزية، وفي اليوم السابع للمولد النبوي الشريف يقرأ القرآن ويختم بالفاتحة مع إقامة الوليمة والرقص على طلقات البارود وغناء المحضرة (مدح الرسول عليه الصلاة والسلام)[20].

ومن أهم الاحتفاليات المرتبطة بالمولد النبوي الشريف "الوزيعة" بنفس الطريقة السابق ذكرها مع إعداد بعض القرى العشاء ليلة المولد في الساحات العمومية.

5-4- الأعياد والمناسبات الأمازيغية:

إلى جانب الأعياد التي سبق ذكرها، يحتفل الجزائريون بأعياد أمازيغية من أشهرها:

الاحتفال بيناير رأس السنة الأمازيغية الجديدة، وهي في سنة 2020-2021 موافقة لسنة 2970-2971، يحتفل به الأمازيغ يوم 12 أو 13 يناير، وينطق باللغة الأمازيغية "أسغاس أمغاز" وأساس الاحتفال به يرجع إلى الاعتقاد بانتصار الملك الأمازيغي ششناق على الفراعنة سنة 950 ق.م وحكم بذلك بلاد مصر. ويرمز هذا اليوم إلى التضحية والنضال والدفاع عن الأرض عند البعض وعند آخرين يرمز لبداية السنة الفلاحية، حيث يستبشرون بنجاح الموسم ويستهلونه بالاحتفال بأطباق من غلة الأرض من قمح وخضر وفواكه.

أ) الوزيعة: وتنطق بالأمازيغية "ثيمشرط" وهي مناسبة يطبعها التضامن الاجتماعي والتكافل والاهتمام بالفقراء والمحتاجين تنتشر في أغلب أنحاء الوطن وترتبط بالمناسبات الدينية الكبرى كشهر رمضان وعاشوراء والمولد النبوي ورأس السنة الأمازيغية.

ب) شاو الربيع: وهو عيد يحتفل فيه بقدوم فصل الربيع وبداية جني بعض الغلات وتعني كلمة "شاو الربيع" مطلع فصل الربيع، يحتفل بهذه المناسبة في شرق الجزائر حيث تخرج العائلات إلى الطبيعة رفقة أطفالها لقضاء

[20]- مديرية الثقافة لولاية أدرار، مصلحة التراث الثقافي، ملف الولائم في ولاية أدرار، ص 18.

كامل اليوم مع تناول الأطباق التقليدية يحضرونها بالخضراوات مع الخبز المصنوع من القمح والشعير وزيت الزيتون وحلوى "البراج" المصنوعة من السميد والزيت أو السمن والتمر المعجون "الغرس".

وهذا العيد دلالة رمزية هي تمسك الأمازيغ بالأرض ومحافظتهم عليها[21]،كما أن ما يصاحبها من إعداد الأطباق التقليدية يطلق عليها "أمنسي أنينايرً" الخاصة بالرجال والنساء والنساء الحوامل والأطفال كلها مرتبطة بالتفاؤل بسنة جديدة بها رزق كثير ووفرة في الأرباح والمحاصيل الزراعية ويرتبط هذا العيد باحتفال كبير.

خلاصة القول أن الممارسات الاحتفالية في الجزائر كثيرة جدا ومتنوعة بتنوع المناطق وتعدد المناسبات، والكثير منها يضرب جذوره في القدم ويرتبط بأسباب تاريخية وظروف اجتماعية مر بها سكان الجزائر وكل هذا الرصيد الثقافي يملك دلالات رمزية اتصالية متنوعة تشكل عناصر أساسية في الهوية، إذ بالإضافة للاحتفاليات السابقة الذكر هناك احتفاليات كثيرة أخرى لاسيما تلك المتعلقة بالزيارة والوعدة أو الزردة والموسم والنشرة والمعروف وغيرها.

خاتمة:

خلاصة القول أن الموروث الثقافي الجزائري غني جدا وقد دلت بعض الاحصائيات فيما يتعلق بالممارسات الاحتفالية أن هناك ما يفوق 240 احتفالا على المستوى الوطني وهناك من هذه الاحتفالات ما أدرج على قائمة العناصر المصنفة كتراث عالمي ثقافي لامادي لدى منظمة اليونسكو كأهليلالقورارة (2008)، والزيارة السنوية لضريح سيدي عبد القادر بن مُحَّد (سيدي الشيخ) (2013)، والطقوس والاحتفالات الخاصة بعيد البيئة في واحة جانت (2014)، واحتفالية "السبوع" الزيارة السنوية إلى زاوية سيدي الحاج بلقاسم في قورارة بمناسبة المولد النبوي (2015).

[21] -https://www.maghrebvoices.com/a/algeria-amazigh-celebration/390893.html